المملكة الأردنية الهاشمية

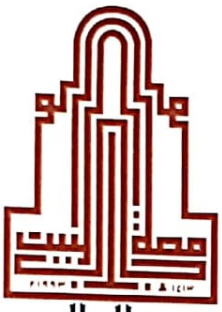

جامعة آل البيت

صندوق دعم البحث العلمي

المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية

مجلة علمية عالمية محكّمة

ر بدعم من صندوق دعم البحث العلمي في وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Scanned by CamScanner

جوانب الإصلاح في قصة لوط عليه السلام في القرآن الكريم

د. عامر القيسي*

د. علي أسعد**

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٦/٤/١٨م

تاريخ قبول البحث: ٢٠١٦/١٢/٢٧م

ملخص

يتناول هذا البحث الحديث عن، (جوانب الإصلاح في قصة لوط عليه السلام في القرآن الكريم)، إذ يظهر البحث معنى الإصلاح، لغة واصطلاحا، وربط ذلك بالقرآن الكريم من خلال قصة لوط عليه السلام، فالأنبياء وإن كانت دعوتهم الأساسية التوحيد إلا أنهم قرنوا ذلك بدعاوى إصلاحية سواء أكانت أخلاقية، أم اقتصادية، أم سياسية، والنبي لوط عليه السلام واحد من الأنبياء الذين قرنوا التوحيد بدعوة إصلاحية، فالبحث يدور حول هذه الفكرة، وإبرازها، وسيركز البحث على جهد النبي لوط عليه السلام ورسالته في إصلاح المجتمع.

Abstract

This research discusses the aspect of reform of story of Prophet Lot (Peace be upon him) in the holy Quran.

As the research shows the meaning of reform (linguistically and idiomatically), it connects these meanings with the Holy Quran through the story of Lot (Peace be upon him).

Therefore, even if the primary message of all prophets has been theism, they all have linked theism with calls for all kinds of reform: (Moral, Economic and Politic).

For example Prophet Lot (Pease be upon him) has been one of the prophets who joined theism with reforming calls. Thus, this research argues this concept and displays it.

Be sides, this research will focus on the efforts of Prophet Lot and his message in reforming the community.

مقدمة:

قص علينا القرآن الكريم مجموعة من قصص الأنبياء الذين كان لهم الدور البارز في إصلاح مجتمعاتهم من خلال قصصهم التي إشعاعها يستنار به لحاضرنا، وعبق نورها يُستشرف به لمستقبلنا، ولقد اخترت قصة لوط عليه السلام كنموذج للاقتداء بنهج الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– في أفعالهم وأقوالهم، والاستفادةِ من جهادهم وحيثيات دعوتهم، في إصلاح المجتمع وإنقاذه من الانحراف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف: ١١١].

مشكلة الدراسة:

غياب دراسة متخصصة تبرز دور الأنبياء عليهم السلام في مجال الإصلاح، وتصحيح مسار الحياة الإنسانية، وحفظ المجتمعات من الانحراف، والانزلاق وراء شهواتهم فالأنبياء والرسل عليهم السلام بمثابة الميزان الذي يحفظ الله بهم أهل الأرض، فلوط عليه السلام أحد الأنبياء الذين حملوا للبشرية رسالة الإصلاح لذا جاء هذا البحث ليكون جوابًا لما يقع من التساؤلات الآتية:

Scanned by CamScanner

١- ما الإصلاح وما مفهومه في القرآن الكريم؟
٢- ما أهم معالم قصة لوط عليه السلام وأهم صفاته وصفات قومه؟
٣- ما أهم معالم رسالة لوط عليه السلام وما هي خطوات الإصلاح التي قدمها لمعالجة قومه؟

أسباب اختيار الموضوع:

١- حاجة الأمة الإسلامية إلى الإصلاح وخاصة في هذا العصر.
٢- إفراد دراسة مستقلة، وبحثًا مستفيضًا يظهر دور لوط عليه السلام في إصلاح المجتمعات.
٣- بيان الوسائل التي سار استخدمها لوط عليه السلام للوصول إلى الإصلاح.
٤- اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالإصلاح.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

١- شرف خدمة كتاب الله تعالى.
٢- بيان مفهوم الإصلاح في قصة لوط عليه السلام.
٣- إبراز أسلوب (نبي الله لوط عليه السلام) في الإصلاح وبيان الخطوات التي تدرج بها في عملية الإصلاح والجوانب التي عالجها.
٤- بيان السلوك القويم للأنبياء في تعاملهم في إصلاح أقوامهم
٥- إبراز الميادين والجوانب التي تحتاج إلى الإصلاح.

ومما تميز به هذا البحث:

١- أنه يركز على رسالة النبي لوط عليه السلام، وأثرها في عملية الإصلاح.
٢- إظهار دور الأنبياء في تشجيع الجوانب الإيجابية ومحاربة الجوانب السلبية عند أقوامهم.
٣- يظهر البحث إمكانية الاستفادة من تجارب الأمم السابقة لحل معضلات الحضارة الحديثة.

منهجية البحث:

١- المنهج الاستقرائي: إذ أقوم باستقراء الآيات القرآنية التي تناولت قصة لوط عليه السلام في القرآن الكريم.
٢- المنهج التحليلي: والذي يقوم على دراسة الآيات المتعلقة بموضوعات الدراسة وتحليلها.
٣- المنهج الاستنباطي: من خلال استنباط الأفكار التي تصوغ مادة البحث وفصوله ومباحثه ومطالبه.

الخطوات المتبعة في البحث:

١- جمع وتتبع ما ورد في القرآن الكريم من نصوص تتحدث أو تشير إلى قصة لوط عليه السلام
٢- بيان ما ذكره أئمة التفسير في معاني الآيات المتعلقة بالموضوع ومدلولاتها.
٣- تجلية المفاهيم الاصطلاحية، واللغوية المتعلقة بالموضوع.
٤- تتبع خطوات ووسائل لوط عليه السلام في كيفية إصلاح قومه.

خطة البحث التفصيلية:

خطة البحث: يشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين تحت كل واحد منهما مطلبين ثم الخاتمة والهامش:

المبحث الأول: تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا ومفهومه في القرآن الكريم والتعريف بلوط عليه السلام وقومه.

المطلب الأول: تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا ومفهومه في القرآن الكريم

المطلب الثاني: التعريف بلوط عليه السلام وقومه

المبحث الثاني: عناصر الإصلاح وأسلوب لوط عليه السلام مع قومه وعقوبة ما حل بهم.

المطلب الأول: خطوات وأسلوب لوط عليه السلام في إصلاح قومه.

المطلب الثاني: عقوبة قوم لوط عليه السلام وما حل بهم وما ترتب على هذه الفاحشة من آثار

الخاتمة: بيان أهم نتائج البحث

المبحث الأول

تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا ومفهومه في القرآن الكريم والتعريف بلوط عليه السلام وقومه

المطلب الأول: تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا ومفهومه في القرآن الكريم:

الإصلاح لغة: "صلح الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على «خلاف الفساد»[١] وهو "نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت. والصلح: تصالح القوم بينهم. والصلح: السلم"[٢].

الإصلاح اصطلاحا:

من خلال المعنى اللغوي يتبين أن هناك صلح وإصلاح، فالصلح "الحصول على الحالة المستقيمة النافعة"[٣]. و"الصلح يختص بإزالة النفار بين الناس، يقال منه: اصطلحوا وتصالحوا ... وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده وتارة بالحكم له بالصلاح"[٤]، "والصلاح عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عمّا ينبغي"[٥].

أما الإصلاح فيكون: "بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلاّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس"[٦].

فالصلاح مقدمة وتمهيد للإصلاح ومما سبق يتبين أن الصلح والإصلاح بينهما علاقة لا تنفك، فلا إصلاح بدون صلاح؛ لذلك قال الغزالي بعد أن وضّح واجب المسلم تجاه نفسه بتهذيبه، ثم شرع في بيان معنى الإصلاح فقال: "ثم يعلم ذلك –أي الذي قام بتهذيب نفسه وصلاحه– ثم أهل بيته ويتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محلته ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتف ..."[٧]. ومما سبق يتبين أن الإصلاح يعني: التغيير الناشئ بدافع الإيمان أولًا لتحقيق تقويم الفرد والجماعة من الأخطاء أو الفساد للحصول على الحالة المستقيمة النافعة.

الإصلاح ومفهومه في القرآن الكريم:

المتأمل لآيات الإصلاح في القرآن الكريم يجد أن "الصلاح مختص في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[التوبة: ١٠٢]"[٨].

ورد الإصلاحُ في القرآن الكريم على لسان الأنبياء –عليهم السلام– في مواضعَ متعدّدة؛ مبينًا أن رسالات الأنبياء تقوم

Scanned by CamScanner

على الإصلاح منها:

١- قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام يوصي أخاه هارون، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف: ١٤٢].

٢- قوله تعالى على لسان نبيّ الله شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨].

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الأعراف: ٨٥].

مما سبق يتضح أن مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم هو ما يكون ضد الفساد، وبأن الصلاح فعل كل حسن، وإزالة كل ما يضاد الحسن.

المطلب الثاني: التعريف بلوط عليه السلام وقومه:

لم يتطرق القرآن الكريم أو السنة النبوية لنسب لوط عليه السلام إلا أن القرآن الكريم قرن بينه وبين إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[العنكبوت: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ٧١].

وبالنسبة لمعنى لوط فترجح أن اسم لوط أعجمي لا علاقة له بالفعل لاط فهو غير مشتق[٩].

فمن المعنى اللغوي اشتق العرب اسماً لفاحشة قوم لوط فأسموها باللواط لا من اسم لوط النبي، عليه السلام؛ لأن (اللواط) كلمة عربية مشتقة، ولها صور متعددة، من لاط الشيء بقلبي يلوط لوطاً وليطاً[١٠]، و(اللواط) تأتي بمعنى التصق[١١]، أي طُيِّنته بالطين، وعلى هذا فلا صلة في المعنى بين اسم لوط وبين فاحشة اللواط؛ لأن (لوطاً) علمٌ أعجمي، ليس له معنى في العربية، و(اللِّواط) كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ من (اللُّوط)، الذي هو الزُّروق والالتصاق.

وأما بالنسبة لأسرته، فإنه لم يثبت شيء في تحديد أسماء أولاده، أو عددهم، أو زوجته، أو اسم والديه.

بعض خصائصه وصفاته:

أولاً: الحكم والعلم، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[الأنبياء: ٧٤]: "والحكم النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم. وقيل: علما فيما، والمعنى واحد"[١٢].

ثانيًا: طهارة لوط وآل بيته، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، "التطهر تكلف الطهارة. وحقيقتها النظافة، وتطلق الطهارة -مجازا- على تزكية النفس والحذر من الرذائل وهي المراد هنا، وتلك صفة كمال ... وهم قد علموا هذا التطهر من خلق لوط عليه السلام وأهله لأنهم عاشروهم، ورأوا سيرتهم، ولذلك جيء بالخبر جملة فعلية مضارعية لدلالتها على أن التطهر متكرر منهم، ومتجدد، وذلك أدعى لمنافرتهم طباعهم"[١٣].

ثالثًا: الكرم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ* وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ* قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٦٨-٧٠]، وتظهر هذه الصفة جليًا في لوط عليه السلام في الآية السابقة حينما جاءت الملائكة إلى قرى قوم لوط؛ فنزلوا عند لوط عليه السلام ضيوفاً، وكان لوط سخيا كريما يقري الضيف إذا نزل به فقال لقومه: "إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي، وحق على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في تركك

التعرض لهم بالمكروه"[١٤]، ويدل النهي عن الضيوف أن لوطا عليه السلام كان يأتيه الضيوف بين الفينة والأخرى، وهذا دليل على كرمه عليه السلام.

قصة لوط في القرآن الكريم:

قصة لوط عليه السلام من القصص القصيرة في القرآن فهي تركز على رسالته وحواره مع قومه وبيان تكذيبهم وهلاكهم وجاءت قصته في القرآن على النحو الآتي: الأعراف: ٨٠-٨٤، هود: ٧٧-٨٣، الحجر: ٥٧-٧٧، الأنبياء: ٧١-٧٥، الشعراء: ١٦١-١٧٥، النمل: ٥٤-٥٨، العنكبوت: ٢٦-٣٥، الصافات: ١٣٣-١٣٨، ص: ١٣، ق: ١٣، الذاريات: ٣١-٣٧، القمر: ٣٣-٤٠، التحريم: ١٠. ونلاحظ أن سورة الحجر نالت النصيب الأكبر في الآيات التي تتحدث عن قصة لوط عليه السلام.

مظاهر بيئته التي عاش فيها:

١- **بيئته ومحيطه الأسري:**

كلُّ ما أشار إليه القرآن الكريم بالنسبة لأسرته أنهم البيت الوحيد المؤمن في كل القرية بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣٥-٣٦: الذاريات]، وأنهم هم الذين نجوا من العذاب قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾[الشعراء: ١٧٠].

إلا أن القرآن صرح بكفر امرأة لوط عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[التحريم: ١٠].

"والخيانة والنفاق واحد، إلا أنّ الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة والنفاق يقال اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقيض الخيانة: الأمانة"[١٥].

وحكم الله عليها بالهلاك قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[هود: ٨١].

٢- **بيئته ومحيطه الخارجي:**

تظهر الآيات القرآنية أن بيئة قوم لوط بيئة منحرفة عن الفطرة السوية الأمر الذي أدى إلى أن يرتكبوا أفعالاً مشينة شاذة جاء ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[العنكبوت: ٢٩].

وأما تفصيل صفات قوم لوط فهي على النحو الآتي:

- إتيان الذكور شهوة دون النساء، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾[٢٩:العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الأعراف: ٨١]، "قسر: تلك الفاحشة يعني أنبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء"[١٦]، "وزيادة إنّ واللام مزيد توبيخ وتقريع، وكأن ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكد تأكيدًا قويًا، وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغةٌ في التوبيخ"[١٧]، وإتيان الذكور شهوة دون النساء، يدل على أنهم في أبشع صور الانحراف والشذوذ غير الموجود والمعهود في الأمم السابقة.
- قطع السبيل، قال تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾[العنكبوت: ٢٩]، هي فاحشة لا تقلّ سوءاً عن الفاحشة السابقة والمقصود بقطع السبيل: "قطع الطريق، أي التصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم، أو قتل أنفسهم، أو إكراههم على الفاحشة، وكان قوم لوط يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه، فقطع السبيل فساد في ذاته وهو أفسد في هذا المقصد"[١٨].
- ممارسة الفاحشة في النوادي أمام نواظر الناس يدل على انعدام الحياء والخجل، قال تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾

Scanned by CamScanner

[العنكبوت: ٢٩]، والمعنى: "فإنهم جعلوا دأبهم للحديث في ذكر هذه الفاحشة والاستعداد لها ومقدماتها، كالتفازل برمي الحصى اقتراعا بينهم على من يرمونه، والتظاهر بتزيين الفاحشة زيادة في فسادها وقبحها؛ لأنه معين على نبذ التستر منها، ومعين على شيوعها في الناس"[١٩].

وهذه الصفات السابقة هي نتيجة طبيعية لمن ينحرف عن الفطرة السوية و"لأن الله جعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سنة الله الطبيعية؛ فإذا وجدت نفس لذتها في نقيض هذه السنة، هو الشذوذ إذن، والانحراف، والفساد الفطري، قبل أن يكون فساد الأخلاق"[٢٠].

٣- المكان الذي عاش فيه:

مرت حياة لوط عليه السلام بعدة هجرات إلى أن استقر به الحال في الشام، فقد كان يعيش مع إبراهيم عليه السلام في بابل العراق، وبعد حادثة إلقاء إبراهيم في النار قرر لوط الهجرة مع إبراهيم عليه السلام، فهاجر معه في جميع رحلاته من العراق إلى بلاد الشام. قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[العنكبوت: ٢٦].

وقد استقر لوط عليه السلام في الشام حيث سكن مع إبراهيم عليه السلام فلسطين، وبعث لوط إلى قومه، وعرفوا بأنهم قوم لوط، حيث لم يحدد القرآن الكريم اسم القوم ولا مكان تواجدهم إلا أن القرآن ذكر لنا وصفًا لقرى لوط بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣]، ومعنى المؤتفكة" مدائن قوم لوط عليه السلام انتفكت بهم، أي: انقلبت وصار عاليها سافلها. يقال: أفكته أي قلبته وصرفته"[٢١]؛ ولعل سبب اختصاص المؤتفكة باسم الموضع في الذكر؛ "ليعلم أن القوم لا يمكنهم صون أماكنهم عن عذاب الله تعالى ولا الموضع يحصن القوم عنه، فإن في العادة تارة يقوى الساكن فيذب عن مسكنه، وأخرى يقوى المسكن فيرد عن ساكنه، وعذاب الله لا يمنعه مانع"[٢٢].

ووصف قرى لوط بالمؤتفكة وعذابهم بانقلاب قراهم ناسب بسبب انقلاب فطرتهم، فكانوا في أبشع صور الانحراف، والشذوذ غير الموجود والمعهود من الأمم السابقة، بل ابتكروا شذوذاً لم يسبق لأحد أن مارسه في العالمين، وهو إتيان الذكور شهوة دون النساء، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[النمل: ٥٥]، وبالرجوع لكتب التفسير والتاريخ نجد أنها ذكرت أسماء قرى قوم لوط، وأنهم كانوا يسكنون سدوم[٢٣].

وأما عن موقع هذه القرى فهو ما يسمى اليوم البحر الميت، وقد ذكر عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء قوله: "أعتقد أن البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط وبحيرة لوط، لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث وإنما حدث من الزلزال الذي جعل عالي البلاد سافلها، وصارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمائة متر، وقد جاءت الأخبار بأنهم اكتشفوا مدن لوط على حافة البحر الميت"[٢٤].

٤- عصره وعمره ووفاته:

العصر الذي عاش فيه لوط عليه السلام هو نفسه عصر إبراهيم عليه السلام، والقرآن الكريم بين ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[العنكبوت: ٢٦]، فلوط عليه السلام عاش في عصر إبراهيم وشاركه الدعوة والمسكن، ولم يرد في عمره أو وفاته أو مكان قبره آية قرآنية أو حديث صحيح.

أما المكان الذي دفن فيه:

فمن المعروف أن الله سبحانه أمر لوطاً وأهل بيته من المؤمنين بالخروج من القرى التي حكم الله تعالى عليها بالعذاب والدمار، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ

إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[هود: ٨١]، ووجه الله تعالى لوطا ومن معه إلى وجهة محددة، لم يذكر اسمها، ولم يحددها في أي اتجاه، وبيّن لنا القرآن الكريم ذلك، بقوله تعالى: ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[الحجر: ٦٥].

قال ابن كثير: كأنه كان معهم من يهديهم السبيل[٢٥]، واختلف المفسرون في الوجهة التي توجه لها لوط عليه السلام ما بين من يقول إلى مصر، ومن يقول إلى الشام[٢٦]، والراجح أنه بقي في الشام، ولم يذهب لمصر، وهذا ما روي عن ابن عباس[٢٧] حيث بقي فيها إلى أن توفاه الله تعالى، وأما قبره فليس هناك دليل على مكانه.

المبحث الثاني
عناصر الإصلاح وأسلوب لوط عليه السلام مع قومه وعقوبة ما حل بهم.

المطلب الأول: خطوات وأسلوب لوط عليه السلام في إصلاح قومه:

بالرجوع لقصته في القرآن فإن لوطًا عليه السلام يبدأ دعوته بالاستنكار على قومه مفاسدهم، فطالبهم بتنقية أخلاقهم، مع مطالبتهم بالتوحيد، ذلك؛ لأنهم كانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله، حيث كانوا يأتون الذكران من العالمين، شهوة من دون النساء، ولا يرون في ذلك سوءًا، أو قبحًا، فيعلنونه، ولا يستترون[٢٨]، وتعتبر فاحشة قوم لوط عليه السلام أول انحراف اجتماعي وأخلاقي، في سابقة لم تسجلها الحضارة البشرية من قبل، فالحضارات التي سبقت حضارة قوم لوط، لم تصل لدرجة الانحراف والشذوذ الفطري والعبث بالفطرة السوية كما هو الحال عند قوم لوط، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ٨٠]، "فإنه بعد أن أنكر عليهم إتيان الفاحشة، وعبر عنها بالفاحشة، وبخهم، بأنهم أحدثوها، ولم تكن معروفة في البشر فقد سنوا سنة سيئة للفاحشين في ذلك ...، والسبق حقيقته: وصول الماشي إلى مكان مطلوب له ولغيره قبل وصول غيره"[٢٩]، فهم في هذا الباب فريدون لا سابق لهم لدرجة أنه قيل: "لولا أن الله، ﷻ، قص علينا خبر لوط، ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا"[٣٠]. بل لم يقف الأمر عند هذا الحد حيث تجاوزه لتصبح هذه الفاحشة سمة عامة تسري في أطياف المجتمع والسبب في ذلك أن؛ "كثيرا من المفاسد تكون الناس في غفلة عن ارتكابها؛ لعدم الاعتياد بها، حتى إذا أقدم أحد على فعلها وشوهد ذلك منه تنبهت الأذهان إليها وتعلقت الشهوات بها"[٣١]، وقال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[العنكبوت: ٢٩]، ويدل معنى النادي الذي هو: "المكان الذي ينتدي فيه الناس، أي يجتمعون نهارا للمحادثة والمشاورة"[٣٢]. على عموم البلوى وشيوعها فالمنكر كان يحدث في عموم مجالسهم وفي وضح النهار وبذلك استحق قوم لوط أوصافًا عديدة اجتمعت فيهم وسمهم بها القرآن الكريم فهم:

١- مسرفون، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[الأعراف: ٨١]، "السرف: تجاوز الحد في كلّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر"[٣٣].

٢- عادون، قال تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[الشعراء: ١٦٦]، "والعادي: هو الذي تجاوز حد الحق إلى الباطل، يقال: عدا عليه، أي: ظلمه، وعدوانهم خروجهم عن الحد الموضوع بوضع الفطرة إلى ما هو مناف لها محفوف بمفاسد التغيير للطبع"[٣٤].

٣- فاسقون، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[الأنبياء: ٧٤]، "فسق فلان: خرج عن حجر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرُّطَب، إذا خرج عن قشره. وهو

Scanned by CamScanner

أعمّ من الكفر. والفسْقُ يقع بالقليل من الذّنوب وبالكثير، لكن تُعُورِف فيما كان كثيرا»[٣٥].

٤- جاهلون، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[النمل: ٥٥]، "الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: هو خلو النفس من العلم، وهذا هو الأصل ... والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقّه أن يفعل سواء اعتقَدَ فيه اعتقاداً صحيحاً أم فاسدا»[٣٦].

٥- ظالمون، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[العنكبوت: ٣١]، "الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إما بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ... والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير»[٣٧].

٦- مجرمون، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾[الذاريات: ٣٢]، ويجمع تلك الصفات أنها جاءت بصيغة الاسم الذي يفيد الثبوت وتكاد تتفق على معنى تجاوز الحد والخروج عن الحق. فماذا ستجني الإنسانية من حضارة مسخت صفاتها ونكست فطرتها؟ وبهذه الصفات السابقة التي اتصف به القوم جعلتهم يدخلون في سكرة المعصية فما عادوا يشعرون بمدى الانحطاط الذي وصلوا إليه، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر: ٧٢]:

قال ابن القيم: "فوصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعَمَهِ الذي هو فساد البصر؛ فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعَمهُ البصيرة يسكر القلب»[٣٨].

فهم وصلوا إلى مرحلة السكر المعنوي الذي يغيب فيه الإدراك "ولهذا بادر ﷺ إلى إيقاظهم من سكرتهم، وإنقاذهم من حمأة الشذوذ الذي تمكن منهم، ومواجهة العلة المستحكمة فيهم، وهذا يدل على أن مهمة الأنبياء -عليهم السلام- لا تقتصر على إصلاح عقيدة الناس وعبادتهم، بل تمتد مهمتهم إلى إصلاح حياتهم الاجتماعية، وتتصدى لكل مفاسد الأخلاق المنتشرة بين الناس»[٣٩].

فلهم على العلاج الذي ينقذهم من الوصول إلى الهاوية والهلاك، قال تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[الحجر: ٧١]، وهو بذلك يحاول أن يأخذ بيد قومه نحو النجاة من براثن الانحطاط والانحراف عن الفطرة البشرية السوية إذ يرشدهم إلى الزواج طريق الطهر والعفاف فهو أزكى لهم وأطهر، ويريد أن ينبههم إلى وجوب التسامي بغريزتهم، وببذلها في حلال وطهر، ويفهم من الآية أن لوطا ﷺ "لا يعرض بناته على هؤلاء الفجار ليأخذوهن سفاحا. إنما هو يلوح لهم بالطريق الطبيعي الذي ترضاه الفطرة السليمة، لينبه فيهم هذه الفطرة. وهو يعلم أنهم إن ثابوا إليها فلن يطلبوا النساء سفاحا. فهو مجرد هتاف للفطرة السليمة في نفوسهم لعلها تستيقظ على هذا العرض الذي هم عنه معرضون»[٤٠].

وهكذا اتجه لوط إلى تعليم قومه الأخلاق والقيم من أجل استبقاء النوع الإنساني والخلافة التي هي الهدف الأساسي من الخلق فقدم لهم العلاج لانحراف فطرتهم مع دعوتهم إلى التوحيد، ولا عجب فإن الرسل جميعا بعثوا لعمارة الأرض وبث روح الإصلاح فيها.

المطلب الثاني: عقوبة قوم لوط عليه السلام وما حل بهم وما ترتب على هذه الفاحشة من آثار:

أولا: عقوبة قوم لوط عليه السلام وما حل بهم:

بلغت حضارة قوم لوط عليه السلام الحضيض في تأففها من الطهر والعفاف، واستساغت الفواحش والرذيلة فكان جوابهم لنبيهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[الأعراف: ٨٢]، "يا عجبًا أو من

يتطهر يخرج من القرية إخراجًا، ليبقى فيها الملوثون المدنسون؟ ولكن لماذا العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية -وتسميه تقدمية وتحطيماً للأغلال عن المرأة وغير المرأة- أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك؛ ولا تطيق أن تراهم يتطهرون؛ لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوثين المدنسين القذرين؟ إنه منطق الجاهلية في كل حين»[٤١].

ووصل الأمر إلى السخرية والتحدي بأن يأتيهم بعذاب الله قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[العنكبوت: ٢٩]، عندها تيقن لوط ﷺ أن هذه الحضارة قد حكمت على نفسها بالنهاية والزوال فكان دعاء لوط، قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾[الشعراء: ١٦٩]، فاستجاب الله تعالى دعاء لوط ﷺ فأرسل ملائكة نزلت عند إبراهيم ﷺ أولاً قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[هود: ٧٤]، ثم توجهت الملائكة للوط ﷺ وتبين الآيات مدى الانحطاط في حضارة قوم لوط إذ ما عادوا يتورعون حتى عن الضيوف، قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[هود: ٧٨]، ومعنى يهرعون إليه: يسرعون إليه، ولا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة، يقال: أهرع الرجل إهراعا: أي أسرع في رعدة من برد أو غضب أو حمى»[٤٢]، "وينبغي أن يزاد عليه أو شهوة شديدة»[٤٣].

واكتفى القرآن بالإشارة لمعصيتهم ولم يصرح بها؛ لأنها معروفة عنهم ولم يزل هذا من سجيتهم إلى وقت آخر حتى أخذوا وهم على ذلك الحال[٤٤]، قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ٧٨]، وتتسارع الأحداث ليبدأ السير نحو حضارة جديدة نقية طاهرة، شعارها الإصلاح يقودها لوط ﷺ بعد النجاة من العذاب، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[هود: ٨١]، وفي تقرير هلاك امرأة لوط تأكيد لما حدث في قصة نوح ﷺ أن رابطة العقيدة أقوى وأوثق من رابطة النسب، ولوط بدوره يؤكد تلك العقيدة السامية التي أكدها نوح من قبله، وبالمقابل فإن حضارة قوم لوط كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، حيث أعد الله تعالى لها أصنافًا من العذاب نكرها في القرآن الكريم على النحو الآتي:

١) عاقبهم بقلب قراهم فجعل عاليها سافلها، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[الحجر: ٧٤]، الصيحة هنا ليست صنفاً من أصناف العذاب الذي تعرض له قوم لوط، فالصيحة هُنا لا يراد بها العذاب المعهود؛ وإنَّما هي صيحة الوجبة، وليست كصيحة ثمود[٤٥]. وجاءت الصيحة مرافقة لقلب القرى وليست بشكل مستقل قال ابن كثير: "وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها، وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم»[٤٦].

والقرآن الكريم يحدد لنا وقت نجاة لوط ومن معه فكان في وقت السحر قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾[القمر: ٣٤]، "والسحر: هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أول النهار؛ لأن في هذا الوقت يكون مخابيل الليل ومخابيل النهار»[٤٧].

كما ويحدد عذاب قومه فوقت العذاب كان عند طلوع الشمس قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾[الحجر: ٧٣]، "أي: حين أضاءت الشمس، فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا، وتمامه حين أشرقوا»[٤٨]، وبهذا المعنى نستطيع أن نلمس إشارة لطيفة جميلة وهي مدى سرعة زوال الحضارات المنحرفة وقصر عمرها، فليل الظالمين وإن طال فإنه قصير في الحقيقة يعقبه الصبح ليبدد ظلامه ويشرق النور من جديد، وما بين السحر وشروق الشمس كانت حضارة قوم لوط قد أفلت وزالت،

Scanned by CamScanner

بالمقابل فإن حضارة لوط التي تحمل الحق والقيم والأخلاق والإصلاح كان شعاع نورها يهل ويضيء لتولد حضارة جديدة تعيد للحضارة إنسانيتها و مكانتها وقيمتها.

وأول أصناف عذاب قوم لوط هو قلب القرى، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۝ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾[النجم: ٥٣-٥٤]، "يعني مدائن لوط، قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: (فغشاها ما غشى) يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم"[٤٩]، والمعنى أنه قلبها ثم أمطرها بالحجارة ولهذا كان العطف بالفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب، "وقد كان عذابهم شديدا يناسب فعلهم" وهي صورة للتدمير الكامل الذي يقلب كل شيء ويغير المعالم ويمحوها، وهذا القلب وجعل عاليها سافلها أشبه شيء بتلك الفطرة المقلوبة الهابطة المرتكسة من قمة الإنسان إلى دنرك الحيوان. بل أحط من الحيوان، فالحيوان واقف ملتزم عند حدود فطرة الحيوان"[٥٠].

بل حتى المفاهيم انقلبت عندهم، فأصبح الطهر عندهم جريمة يعير بها الإنسان ويعاقب عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[الأعراف: ٨٢]، فكان الجزاء من جنس العمل.

٢) أمطرهم بحجارة: بعد أن قلب قراهم أعقب ذلك بأمطار من حجارة وهي حجارة من طين قال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾[الذاريات: ٣٣]، فأصل الحجارة من طين ثم وصفها القرآن الكريم أنها حجارة من سجيل قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[هود: ٨٢]، واختلف العلماء في معنى "سجيل" على أقوال كثيرة جمعها الشوكاني في تفسيره بقوله: "والسجيل: الطين المتحجر بطبخ أو غيره، وقيل هو الشديد الصلب من الحجارة، وقيل السجيل الكثير، وقيل إن السجيل لفظة غير عربية، أصله سج وجيل، وهما بالفارسية حجر وطين عربتهما العرب فجعلتهما اسما واحدا، وقيل هو من لغة العرب"[٥١]، "والظاهر أنها حجارة من طين في غاية الشدة والقوة، والدليل على أن المراد بالسجيل: الطين، قوله تعالى في "الذاريات" في القصة بعينها ..."[٥٢]، "والمنضود: الموضوع بعضه على بعض. والمعنى هنا أنها متتابعة متتالية في النزول ليس بينها فترة"[٥٣].

ثم بين أن الحجارة مسومة، قال تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: ٨٣]، "أي: معلمة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه"[٥٤].

وقد رافق نزول الحجارة على قوم لوط ريح شديدة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾[القمر: ٣٤]، "أي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى"[٥٥]، وبهذا نفهم أن الحاصب ليس عذابا مستقلا، وإنما هو الحجارة التي ذكرت سابقا ولكن هذه الآية تعطينا صورة جديدة، وهي ان الحجارة عند نزولها رافقها الريح الشديدة، وبذلك تكتمل الصورة وتتضح، وخلاصة الكلام أنها حجارة من طين شديدة صلبة، موضوعة بعضها على بعض نزلت متتابعة معلمة مختوم عليها أسماء اصحابها أرسلها الله تعالى على قوم لوط بريح شديدة.

٣) عاقبهم بطمس أعينهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[القمر: ٣٧]، "الضمير في راودوه إن كان عائدا إلى قوم لوط عليه السلام فما في قوله: (أعينهم) أيضا عائدا إليهم فيكون قد طمس أعين قوم ولم يطمس إلا أعين قليل منهم، وهم الذين دخلوا دار لوط عليه السلام، وإن كان عائدا إلى الذين دخلوا الدار فلا ذكر لهم فكيف القول فيه؟ راودوه حصل قوم هم المراودون حقيقة، فعاد الضمير في أعينهم إليهم"[٥٦]. فالرازي يرى أن عقوبة الطمس عامة لجميع قوم لوط، والراجح أنها عقوبة خاصة للذين حضروا بيت لوط وحاولوا مروادة ضيفه، وهذا ما يدل عليه السياق، إذ لم تذكر عقوبة الطمس إلا في سياق قصة المراودة.

ثانياً: الآثار المدمرة لفاحشة اللواط:

لم يصرح القرآن الكريم بالضرر الذي تلحقه هذه الفاحشة، إلا أنه حرمها وبين العذاب الذي لحق بمن مارسها كما مر سابقا، وبلغ الاستنكار لهذه الجريمة، أن قال النبي ﷺ: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"[٥٧]، ثم أرشدنا للبديل وهو الزواج، قال تعالى: ﴿قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[الحجر: ٧١]، فهو" لا يعرض بناته على هؤلاء الفجار ليأخذوهن سفاحا. إنما هو يلوح لهم بالطريق الطبيعي الذي ترضاه الفطرة السليمة"[٥٨].

فالله سبحانه لم يحرم شيئا إلا وأعطى بديلا عنه فإذا حرم شيئا عوضهم خيرا منه[٥٩]، والقرآن أحل كل طيب نافع وحرم كل خبيث ضار، قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾[الأعراف: ١٥٧]، "قال بعض العلماء: كل ما أحل الله تعالى، فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه، فهو خبيث ضار في البدن والدين"[٦٠]، وقد حذر القرآن الكريم من يمارس هذه الفاحشة بعقوبات متجددة، قال تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: ٨٣]، قال الشوكاني: "وما أحق مرتكب هذه الجريمة، ومقارف هذه الرذيلة الذميمة أن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويعتب تعذيبا يكسر بها شهوة الفسقة المتمردين، فحقيق بمن أتى بفاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يصلى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشابها لعقوبتهم، وقد خسف الله بهم، واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبهم"[٦١].

وبعد أن عرفنا مدى حرمة هذه الفاحشة فلابد من الوقوف مع بعض الآثار السلبية لهذه الجريمة لمن الناحية النفسية والاجتماعية نجد الآتي:

أولاً: الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهيمة وقضاء الشهوة من الذكر فإنه لا يفيد إلا مجرد قضاء الشهوة، فكان ذلك تشبها بالبهائم، وخروجا عن الغريزة الإنسانية، فكان في غاية القبح[٦٢].

ثانيًا: يبقى الفاعل في إيجاب العار العظيم، والعيب الكامل بالمفعول على وجه لا يزول ذلك العيب عنه أبد الدهر[٦٣].

ثالثًا: هذه الفاحشة سبب لحصول البغض للعمل من قبل أصحاب الفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]، "إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله"[٦٤].

رابعًا: إنه عمل يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول، وربما يؤدي ذلك إلى إقدام المفعول على قتل الفاعل لأجل أنه ينفر طبعه عند رؤيته، أو على إيجاب إنكائه بكل طريق يقدر عليه[٦٥].

خامسًا: إنها فاحشة تفسد القلب، قال ابن القيم: "ولكن نجاسة الزنا واللواطة أغلظ من غيرها من النجاسات من جهة أنها؛ تفسد القلب وتضعف توحيده جدًا"[٦٦].

سادسًا: الحسرة والندامة فهي من المحرمات، قال الشافعي:" والإتيان في الدبر -حتى يبلغ منه مبلغ الإتيان في القبل- محرم بدلالة الكتاب ثم السنة"[٦٧]، ومعروف بالتجربة أن من يرتكب أمراً محرما فإنه يترك في النفس الحسرة والندامة فتذهب اللذات وتبقى الحسرات.

وأما من ناحية الأضرار الجسدية نجد أن هذه الفاحشة كانت السبب وراء انتشار الشذوذ في عصرنا الحاضر خصوصًا في الغرب مما أدى لظهور أمراض جديدة، فالشذوذ الجنسي: "يعتبر أوسع الطرق لانتشار مرض الإيدز"[٦٨]، إذ بلغت نسبة الذين أصيبوا به عن هذا الطريق ٧٣% من مجموع حالات الإيدز التي اكتشفت حتى الآن؛ لذلك أطلقوا عليه مجازاً "طاعون الشاذين"[٦٩].

فاللواط يؤدي إلى مزيد من الأوجاع والأسقام لأن؛ مواقعة الرجل للرجل يؤدي إلى عدم الحصول على القوة الكافية لجذب

Scanned by CamScanner

المني وحينئذ لا يكمل الجنين، فيبقى شيء من أجزاء المني في تلك المجاري ولا ينفصل، ويعفن ويفسد ويتولد منه الأورام الشديدة والأسقام العظيمة، وهذه فائدة لا يمكن معرفتها إلا بالقوانين الطبية»[٧٠].

والوجه الثاني: النسل وهو من الفساد؛ لأن القرآن عد إهلاك النسل من الفساد قال تعالى: **﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾**[البقرة: ٢٠٥].

وبذلك يتضح دور لوط عليه السلام في إصلاحه وحمايته الإنسانية من أيدي الأشقياء الذين حاولوا العبث في فطرة الإنسان، فأرسله الله ليحمل للبشرية لبنة تصلح الخلل وتخاطب الإنسان بشقيه المادي والروحي، وتحفظ فطرته الإنسانية.

الخاتمة:

أهم النتائج التي وصلت إليها، وهي كما يلي:

١. عملية الإصلاح تقوم على تصحيح الأخطاء والفساد للأفراد، أو الجماعات للحصول على حياة مستقيمة توافق الفطرة السليمة.
٢. لابد للمصلح أن يكون صالحا في ذاته، فلا إصلاح دون صلاح.
٣. اهتمام واسع للقرآن الكريم بالإصلاح.
٤. دعوة الأنبياء ورسالتهم تقوم على الإصلاح.
٥. حفظ الفطرة الإنسانية من الانحراف إحدى أهم جوانب الإصلاح في رسالة لوط عليه السلام.
٦. الزواج وتكوين الأسرة علاج حقيقي، وإصلاح مهم من أجل استقرار الحياة للأفراد والجماعات.
٧. يترتب على غياب عملية الإصلاح في حياة الناس آثار وأضرار سلبية تؤثر على طبيعة فطرتهم ومعيشتهم.

وفي النهاية أسأل الله تعالى القبول؛ فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والله ولي التوفيق.

الهوامش:

(١) ابن فارس، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ /١٠٠٤م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مادة (صلح)، ج٣، ص٣٠٣

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، صححه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، (ط٣)، ج٧، ص٣٨٤.

(٣) الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ/١١٤٣م)، **الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، (ط١)، ج١، ص١٧٩.

(٤) الراغب، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، (ط١)، مادة: (صلح)، ص٢١٤.

(٥) الألوسي، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت – لبنان، دار التراث العربي، المطبعة المنيرية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ج٧، ص٢١٤.

(٦) **ابن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ/١٣٢٨م)، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق: علي بن محمد

عمران، دار عالم الفوائد للتوزيع والنشر، (ط٤)، ص٩٤.

(٧) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م)، **إحياء علوم الدين**، بيروت – لبنان، دار ابن حزم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (ط١)، ص٨٢٠.

(٨) الراغب، **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، مادة (صلح)، ص٢١٤.

(٩) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ/٩٢٣م)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، بيروت-لبنان، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ط١، ج٢، ص٣٥٢.

(١٠) الراغب الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ص٣٤٦.

(١١) ابن منظور: السابق، مادة: (لوط)، ج١٢، ص٣٥٨.

(١٢) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٤، ص٢٣١.

(١٣) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)، **التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج٨، ص٢٣٥.

(١٤) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ضبط وتعليق: محمود شاكر العرستاني، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، (ط١)، ج١٤، ص٥٤.

(١٥) الراغب الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ص١٢٣.

(١٦) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ/١١٢٢ م)، **معالم التنزيل**، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم الحرش، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، (ط١)، ج٣، ص٢٥٥.

(١٧) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤ م)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص٢٤٥.

(١٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٢٤٠.

(١٩) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج٢٩، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢٠) قطب، سيد (ت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦ م)، **في ظلال القرآن**، بيروت-لبنان، دار الشروق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (ط١٥)، مج٣، ج٨، ص١٣١٥.

(٢١) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص٦٤.

(٢٢) الرازي، محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (٦٠٦هـ/١٢١٠م)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، بيروت – لبنان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، (ط١)، ج٢٩، ص٢٥.

(٢٣) سدوم معناها الندم مع غم، وهي مدينة من مدائن قوم لوط. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٥م)، **معجم البلدان**، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م، باب: السين والنال وما يليهما، ج٣، ص٢٠٠.

(٢٤) النجار، عبد الوهاب، **قصص الأنبياء**، بيروت – لبنان، دار الجيل، ص١١٣.

(٢٥) ابن كثير: **تفسير القرآن العظم**، ص١٠٤٩.

(٢٦) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، **فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير**، راجعه وعلق عليه: هشام البخاري، خضر عكاري، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (ط١)، ج٣، ص١٦٩.

(٢٧) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن** ج١٢، ص٢٢٧.

(٢٨) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، عناية وتوثيق: عبد الرحمن اللاذقي، محمد غازي بيضون، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (ط٥)، ج١، ص١٩٨.

(٢٩) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٨، ص٢٣٠.

Scanned by CamScanner

(٣٠) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ص٧٧٠.
(٣١) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج٢٠، ص٢٤١.
(٣٢) ابن عاشور: **التحرير والتنوير** ج٢٠، ص٢٤١.
(٣٣) الراغب الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ص١٧٣.
(٣٤) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج١٩، ص١٨٠.
(٣٥) الراغب الأصفهاني: **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، ص٢٨٧.
(٣٦) الراغب الأصفهاني: **السابق**، ص٧٩.
(٣٧) الراغب الأصفهاني: **السابق**، ص٢٣٧.
(٣٨) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، **الداء والدواء أو الجواب الكافي فيمن سأل عن الدواء الشافي**، تحقيق: يوسف علي بدوي، دمشق – بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (ط٢)، ص٣٠٧.
(٣٩) ضهمز، عبد الحميد محمود، **أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف**، دار القلم، دمشق؛ والدار الشامية، بيروت، ١٩٩٢م، (ط١)، ص٨٤.
(٤٠) قطب: **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٤، ص٢١٥٠.
(٤١) قطب: **في ظلال القرآن**، مج٣، ج٨، ص١٣١٦.
(٤٢) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٢، ص٦٣٦.
(٤٣) رشيد رضا، محمد (ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، **تفسير المنار**، القاهرة، دار المنار، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م، (ط٢)، ج١٢، ص١٣٣.
(٤٤) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ص٩٦٢.
(٤٥) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨ م)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، (ط١)، ج٣، ص٣٧٠.
(٤٦) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ص١٠٥٠.
(٤٧) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن** ج٢٠، ص١٠٠.
(٤٨) البغوي: **معالم التنزيل**، ج٤، ص٣٨٨.
(٤٩) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ص١٧٨٦.
(٥٠) قطب: **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٢، ص١٩١٥.
(٥١) الشوكاني: **فتح القدير**، ج٢، ص٦٣٨-٦٣٩.
(٥٢) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، إشراف: بكر ابن عبد الله أبو زيد، جدة، دار عالم الفوائد، من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، ج٣، ص٤٥-٤٦.
(٥٣) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص١٣٥.
(٥٤) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ص٩٦٤.
(٥٥) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢٠، ص١٠٠.
(٥٦) ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج١٧، ص٢٣٢.
(٥٧) الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع المختصر من سنن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بجامع الترمذي**، مكتبة المعارف، الرياض، كتاب: الحدود عن رسول الله ﷺ، ط١، باب: ما جاء في حد اللوطي، من حديث بن عباس رقم: (١٤٥٦)، ص٣٤٥.

(٥٨) قطب: **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٤، ص٢١٥٠.
(٥٩) ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، تحقيق: محمد عزير شمس، مكة المكرمة، دار علم الفوائد، ١٤٣٢هـ، ص١٨.
(٦٠) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ص٧٩١.
(٦١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، **نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار**، تحقيق: أبو معاذ طارق ابن عوض الله بن محمد، دار ابن القيم للنشر والتوزيع – الرياض، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، (ط١)، ج٩، ص٧٥.
(٦٢) الرازي: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج١٤، ص١٧٦.
(٦٣) ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج١٤، ص١٧٧.
(٦٤) الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١٩، ص١٢٢.
(٦٥) ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج١٧، ص١٧٧.
(٦٦) ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠ م)، **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان** تحقيق: محمد فريد شمس، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٣٢هـ، (ط١)، ج١، ص١٠٦.
(٦٧) الشافعي، محمد بن إدريس، (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م)، **أحكام القرآن**، مصر-القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٤ هـ-١٩٩٤م، (ط٢)، ج١، ص١٩٤.
(٦٨) هو فقدان المناعة المكتسبة وهو عبارة عن مجموعة من الأعراض المرضية والتي يدل ظهورها على أن المصاب يعاني من فقدان المناعة ينظر: محمد علي بار، **الأمراض الجنسية-أسبابها وعلاجها**، جدة – السعودية، دار المنارة، ١٩٨٥، (ط١)، ص١٣٣.
(٦٩) القضاة، عبد الحميد، **الإيدز حصاد الشذوذ**، لندن – دار ابن قدامة للطباعة والنشر، دار النشر الطبية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٦م، (ط٢)، ص٢٨.
(٧٠) الرازي: **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج١٤، ص١٧٧.

Scanned by CamScanner